العدد ٤٨/٢٠١٩

الأحد ١ كانون الأول

تذكار النبيّ ناحوم

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثاني

الرسالة

(أفسس ٢٠: ١٤–٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعل الإثنين واحدًا ونقضَ في جسدِهِ حائطَ السياج الحاجز أي العداوةَ* وأبطَلَ ناموسَ الوصايا في فرائضِهِ ليَخلُقَ الإثنينِ في نفسِه إنسانًا واحِدًا جديدًا بإجرائِه السلام* ويُصالحَ كلَيهما في جسدٍ واحِدٍ معَ اللهِ في الصليبِ بقتلِه العداوةَ في نفسِه* فجاءَ وبشَّركم بالسلامِ البعيدينَ منكم والقريبين* لأنَّ بِهِ لنا كِلينا التوصُّل إلى الآبِ في روحٍ واحدٍ* فلستُم غرباءَ بعدُ ونُزلاءَ بل مواطِنو القديسين وأهلُ بيتِ الله* وقد بُنيتم على أساسِ الرسلِ والأنبياءِ وحجرُ الزاويةِ هو يسوعُ المسيح نفسُهُ* الذي بهِ يُنسَقُ البُنيان كلُّه فينمو هيكلًا مقدَّسًا في الرب* وفيه أنتم أيضًا تُبنَونَ معًا مَسكِنًا للهِ في الروح.

حياتنا الروحيّة في سرّ الزواج

الزواج عطيّة إلهيّة ودعوة إلى تفتّح الإنسان ونموّه الروحيّ. يقول الربّ في الإنجيل: «أَمَا قرأتم أنّ الذي خلق، من البدء، خلقهما ذكرًا وأنثى وقال: من أجل هذا يترك الرّجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته، ويكون الاثنان جسدًا واحدًا. إذًا ليسا بعدُ اثنين بل جسدٌ واحد. فالّذي جمعه الله لا يفرّقه إنسان» (مت ١٩: ٤–٦). يؤكّد السيّد، بهذا الكلام، على أنّ علاقة الانجذاب الطبيعيّ والحبّ بين الرجل والمرأة واتّحادهما كيانيًّا، وعيشهما معًا، واشتراكهما في مسيرة العمر في سرّ الزواج، ما هي إلاّ تحقيق لمقاصد الله الخلاصيّة ومسرّته في خليقته.

عملُ الخلق هو خير تعبير عن المحبّة الإلهيّة. أمّا ذروة هذه المحبّة فتأتي في خلق الإنسان، هذا الثنائيّ أو الزوج الأوّل، خُلقَ كائنَين عقليَّين حرَّين مصنوعَين على «صورة الله ومثاله». هذا خير تأكيد على أنّ الله لم يهب الوجود للرجل والمرأة فحسب، بل حَباهما الوجودَ معًا، في التناغم والتكامل والشركة، الأمر الذي ينعكس في علاقتهما مع الكائنات وسلطتهما بالمحبّة على الخلائق الحسّيّة، والتي تنبع من علاقتهما مع الله.

لكنّ جواب الإنسان على دعوة المحبّة الإلهيّة كان سلبيًّا. آدم وحواء عصيا وصيّة الله، فمرضت المحبّة في الإنسان وبات يدرك عريَه، بل يطلب ما ليس له، وينشغل في أمور كثيرة عوض استمداد معنى وجوده وفاعليّته من الله. فكان الزواج تدبيرًا خلاصيًّا يمنح الإنسان إمكانيَّتَين لتخطّي ناموس الفساد والموت هما: أوّلًا إمكانيّة الإنجاب وتأمين استمرار الحياة الآدميّة والغلبة على الموت الجسديّ، ثمّ إمكانيّة تخطّي الأنا الفرديّة والانفتاح على المحبّة الإلهيّة بالتوبة والتنقية وعيش الفضائل، حيث تكون الغلبة على «الموت الروحيّ»، كما يسمّيه القدّيس غريغوريوس بالاماس.

منذ القرن الأوّل، كان اتّفاق الزوجَين يخضع لبركة الأسقف ورأيه؛ فكانا، من بعد إتمام الإجراءات المفروضة في المجتمع

والتشريع الرومانيَّين، يمثّلان وسط الليتورجيا ويكرّسان اتّحادهما في المسيح بسرّ الإفخارستيّا، حيث يتحقّق «الوجود معًا» في جسد المسيح الممجَّد، كما يوضح القدّيس غريغوريوس النيصصيّ.

إنّ حدثَ تجسّد المسيح أغنى الخليقة بحال غير مسبوقة. لولا أنّ المسيح اتّحدَ بالطبيعة البشريّة، لَما كان الارتباط الطبيعيّ للرجل بالمرأة مسكنًا للنعمة الإلهيّة وسبيلًا لعيش الغنى الروحيّ. الإنسان، في الزواج، بات يلبّي دعوة الإنجيل إلى التآزر مع النعمة الإلهيّة. هذا هو معنى السرّ؛ فالمسيح يتّحد بالعائلة المسيحيّة كما بجسده–الكنيسة عبر عطيّة الروح القدس، والعائلة–الكنيسة تجاهد لينفتح أعضاؤها على العطايا والحياة الإلهيّة.

سرّ الزواج فعلُ تقديس وبركةٍ للروح القدس في العالم وفي الإنسان. يطلب الكاهن في صلاة الإكليل «أرسل الآن نعمتك السماويّة على عبديك». لا بدّ إذًا من استدعاء الروح الإلهيّ (Epiklisis) لكي يتحقّق السرّ، فإنّ حضور الروح القدس في حياة الإنسان المؤمن يميّز الزواج المسيحيّ عن أيّ ارتباط أو عقد اجتماعيّ صرف. تحقيق غاية الزواج ليس إنجازًا بشريًّا بل ثمرة لعطيّة النعمة الإلهيّة، في علاقة الحبّ بين الرجل والمرأة. إن كانا كلاهما منفتحَين في حياتهما على شخص الربّ يسوع، يصير الحبّ الزوجيّ سبيلًا إلى طاعة وصايا الله ونموّ الإنسان في النعمة وبلوغ الكمال الروحيّ.

لكن، تحتفّ بالمسيرة الزوجيّة أخطارٌ مختلفة وإمكانيّة الإخفاق والإنجرار إلى الخطيئة. لذا، تبرز واقعيًّا حتميّة الجهاد من أجل التغلّب على الأنانيّة، واقتناء الفضائل، والتعاون في إطار الحياة الأسريّة. الزواج دعوة يوميّة إلى تخطّي الذات، وإلى احتواء الآخر وتعهّده. خبرة الإلتجاء إلى المسيح والتسلُّح بحمل الصليب تؤدّي إلى صلب المشيئة الفرديّة وكلّ ما يؤذي علاقة الزوجَين. هكذا جعل قدّيسو الكنيسة من زواجهم حدثَ محبّةٍ يمكّن من معرفة الذات والتنقّي والعودة إلى بيت الآب.

حين يخضع المستوى الجسديّ في حياة الزوجَين لمشيئة الله، يؤول بهما إلى الاتّحاد بالمسيح. العشق الجسديّ يصير بابًا إلى ما هو أبعد منه، أي الفرح الروحيّ. أهواء الإنسان تعود إلى وظيفتها الطبيعيّة الأصليّة لتعكس المحبّة والتآنّي في الحياة العائليّة والاجتماعيّة الأوسع، فيكون الزواج مكانًا ومنهاجًا لمداواة محبّةِ الذات والأنانيّة المفرطة اللّتَين هما مرض الطبيعة البشريّة، حسبما يشدّد القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم.

خدمة الإكليل دعوة إلى الاقتداء والتماهي بطاعة الشهداء القدّيسين «الذين جاهدوا حسنًا وتكلّلوا»، والتي هي خير مثال على طاعة الكنيسة للمسيح الختن. هذه الطاعة يعيشها المتزوّجون من خلال الجهاد الروحيّ، وإنجاب الأولاد، وتنشئتهم، واحتمال المرض والألم، وتعهُّد الآخر في مصاعب الشيخوخة، والإصرار على ملازمته حتّى الموت، فلا تعود حياة البشر مستهلكةً في بُعدها المادّيّ، بل يودع الأزواج حياتهم في شركة المحبّة الإلهيّة، والتي منها يستمدّون سلامًا وقوّة من أجل النموّ، وتخطّي الضعف، والانفتاح الكامل على الآخر. هذا، ويعلّم القدّيس باسيليوس الكبير

الإنجيل

(لوقا ١٨: ٣٥–٤٣)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ بالقربِ من أريحا كان أعمى جالِساً على الطريقِ يستعطي* فلمَّا سمعَ الجمعَ مجتازاً سألَ ما هذا* فأُخبِرَ بأنَّ يسوعَ الناصريَّ عابرٌ* فصرخَ قائلًا يا يسوعُ ابنَ داودَ ارحمني* فزجَرَهُ المتقدِّمون ليسكُتَ فازداد صُراخاً يا ابنَ داودَ ارحمني* فوقف يسوعُ وأمرَ أنْ يُقدَّمَ إليهِ* فلمَّا قَرُبَ سألَهُ ماذا تريدُ أن أصنعَ لك. فقال يا ربُّ أن أُبصِرَ* فقال لهُ يسوعُ أَبصِرْ. إيمانُكَ قد خلّصك* وفي الحال أبصَرَ وتبعَهُ وهو يمجّدُ اللهَ. وجميعُ الشعبِ إذ رأوا سبَّحوا الله.

تأمل

بما أنّ كلّ المؤمنين معًا وكلاً منهم على حدةٍ هم هيكل الله الواحدُ نفسُه (١كو ٣: ١٦)، فينبغي أن يكون هذا الهيكل كاملًا في الكلّ. إذ حتى ولو لم تكن الجمالات متساويةً عند جميع الأعضاء، ولا المزايا متشابهةً في تنوّعٍ واسعٍ من الأجزاء إلى هذا الحدّ، إلاّ أنّ مُلتقى المحبّة يُحرز الاتّحاد في الصلاح. فمن كان

يجمعهم حبٌّ مقدّس، إنّما يتشاطرون الفرح بخيراتهم مع أنّهم لا يتشاطرون هبات النعمة نفسَها، وما يحبّونه لا يمكن أن يكون غريبًا بالنسبة إليهم، لأنّ إيجاد المرء فرَحَه في تقدّم الآخرين هو زيادةٌ لغناه الخاصّ. إذًا، كلّ ما يمكن للغرور أن يتفاخر به، أو للغضب أن يثور به، أو للفسق أن يلهو به، كلّ ذلك لا يتعلّق بتحالف المسيح، بل بحزب إبليس، ويُطرح به خارج مساكن التقوى. أمّا خصم النقاوة وعدوّ السلام فيستشيط غيظًا، بل ويتألّم لرؤيته الإنسان وقد جدّدته رحمةُ الله وأُدخِل إلى تلك الخيرات التي خسرها هو. وليس أمرًا مدهشًا أن يعذّب الشرير ومَن يتبعه بإخلاص المستقيمين وأن ينكّل به ثباتُ الذين لم يستطع هو إسقاطَهم إلاّ أن خدّام الله وتلاميذ الحقّ يحبّون حتى أولئك المختلفين عنهم، وهم يعلنون الحرب على الرذائل لا على البشر، «فلا يكافئون أحدًا على شرٍّ بشرّ» (رو ١٢: ١٧)، بل يرومون دومًا إصلاح الخطأة. وإن قال الربّ: «لم آتِ لأدعو الصدّيقين بل الخطأة» (مت ٩: ١٣)، فهو لم يسمح لأي مسيحيٍّ أن يكره أحدًا أيًّا كان، سيّما أن ما من أحدٍ يجد أنّ الرجل والمرأة مدعوّان في الإنجاب وتنشئة الأولاد إلى الاقتداء بالخالق والاشتراك معه في محبّة الخليقة والعناية بها، وفي العطاء غير المتناهي.

لطالما كانت خبرة الكنيسة أنّ الزواج مشغلٌ لخلاص الإنسان ولتجلّيه، وأنّ العالم قادر على تلقُّف الصلاح الإلهيّ عبر محبّة الله التي يشهد لها المسيحيّون في حياتهم اليوميّة وفي التجائهم المستمرّ إلى المعونة الإلهيّة. يبقى أنّ حضور المسيح في العائلة هو وحده السبيل إلى عيش المحبّة والوحدة الكاملة بين الزوجَين: «بهذا قد عرفنا المحبّة: أنّ ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة» (١يو ٣: ١٦). لا بدّ من صبر وتضحيةٍ وألم، لا بدّ من عطاءٍ كبيرٍ وتخطٍّ يوميّ لحاجز الأنانيّة، لا بدّ من حملِ الصليب وانتظارِ خلاص الربّ، لكي يتنعّم الزوجان «بالخمرة الجيّدة» (يو ٢) التي أعدّها الربّ يسوع للّذين يحبّونه.

الأنبياء

تعيّد كنيستنا المقدّسة اليوم للنبيّ ناحوم. إسم النبيّ يعني «المعزّي»، وقد كان ينتمي إلى سبط شمعون، من الأسباط الإثني عشر.

تذخر الفترة التي تسبق عيد ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بأعياد أنبياء العهد القديم، خصوصًا أولئك الذين تحوي نبوءاتهم كلامًا على مجيء المخلّص، وانتظار المسيح. هنا نحن أمام نبيّ من هذه المجموعة المُنبئة بقدوم المسيح: «هوذا على الجبال قَدَما مبشِّرٍ منادٍ بالسَّلام» (نا ١: ١٥). إذًا، السّلامُ هو رسالة ذاك الآتي ليخلّصَ المسكونة ممّا اعتراها من ظلم وقتلٍ وشرور: «ويلٌ لمدينة الدماء، كلّها ملآنةٌ كذبًا وخطفًا... كثرةُ جرحى ووفرةُ قتلى ولا نهاية للجثث» (نا ٣: ١-٣).

كلام النبيّ ناحوم يذكّرنا بما قاله النبيّ إشعياء: «لأنّه قد وُلِدَ لنا ولدٌ، أُعطِيَ لنا ابنٌ، فصارت الرئاسةُ على كتفه، ودُعيَ اسمُه عجيبًا، مشيرًا، إلهًا جبّارًا، أبا الأبد، رئيس السلام» (إش ٩: ٦). يُجمعُ الأنبياء على أنّ الأرض أصبحت ملآنةً شرًّا، لذلك نادَوا بين الشعوب بأنّ الظلم الذي يُمارسه الأقوياء والملوك ورؤساء الشعوب على الفقراء والمساكين والبائسين والأيتام والأرامل سوف يزول كلّه بمجيء المسيح، الملك العادل «على رتبة ملكيصادق (أي ملك البرّ/العدل، والذي كان ملك شاليم أي السلام)» (مز ١١٠: ٤).

أيضًا، نجد الأنبياء يوضحون أنّ المسؤولين عن الشعوب يعتمدون على قواهم الخاصّة وجيوشهم وفرسانهم وأسلحتهم وخيلهم، أمّا المساكين فلا اعتماد لديهم سوى على الله، لذلك نجد الله يهبّ لمساندتهم ونصرتهم على كلّ شرّ يحيط بهم. فالله يحبّ أبناءَه، ويغار عليهم، وبسبب غيرته هذه نجده يحافظ على شعبه. هنا نتذكّر النبيّ إيليّا الملقَّب بالغيور، والذي جعلته غيرته ومحبَّته العظمى لله يرفض كلّ عبادةٍ أُخرى لغير الإله الحقيقيّ ويعمل على محاربة الشرّ والفساد الذي كان يحيط بالشعب.

النبيّ ناحوم يختم نبوءته، الموضوعة في ثلاث إصحاحات، منتقدًا رؤساء الشعب وقائلًا: «نعسَتْ رعاتُكَ يا ملك أشور. إضطجعت عُظماؤكَ. تشتّتَ شعبُكَ على الجبال ولا مَن يَجمَع» (٣: ١٨). هنا نجده يهزأ بالزعماء الأرضيّين، الذين يضطجعون

وينامون في الوقت الذي يحتاجهم الشعب المتشتّت. هذا الأمر نجده لدى النبيّ عاموس الذي يقول: «ويلٌ للمستريحين في صهيون، والمطمئنّين في جبل السامرة، نقباءِ أوّلِ الأمم... الذين يضطجعون على أسرّةٍ من العاج ويتمدّدون على فُرُشِهم ويأكلون خرافًا من الغَنَم وعجولًا من وسط الصِّيرة، الذين يهذرون مع صوت الرباب ويخترعون لأنفسهم آلات الغناء كداود، والذين يدَّهنون بأفضلِ الأدهان ولا يغتمّون على انسحاقِ يوسف. لذلك الآن يُسبَونَ في أوّل المسبيّين» (٦: ١–٧).

نفهم من كلام الأنبياء السابق ذكرهم، وسواهم الكثيرين، أنّ الله هو الثائر الأوّل، وثورته كانت، ولا تزال، أحقّ ثورة إطلاقًا، إذ هي ضدّ الظلم الذي يلحق بأبنائه الذين ليس عندهم ما أو مَن يضعون رجاءَهم عليه سواه هو وحده: الفقراء والمساكين لا يملكون المال، الأرامل فقدوا رجالهم الذين يشكّلون سندهم القويّ، الأيتام لا معيل لهم... فكان الربّ هو المُتَّكل عليه الحقيقيّ الوحيد الذي قال لهم على لسان النبيّ داود: «لا تتّكلوا على الرؤساء ولا على ابنِ آدم حيث لا خلاص عنده» (مز ١٤٦: ٣)، وهم يجيبونه مع النبيّ داود: «أمّا أنتَ يا ربّ فناصري ومجدي ورافع رأسي. بصوتي إلى الربّ أصرخ فيجيبني من جبل قدسه» (مز ٣: ٣–٤).

لقد أرسل الله الأنبياء إلى شعبهِ سعيًا لخلاصهم، إلاّ أنّ كثيرين منهم لم يؤمنوا به، ولم يسمعوا سوى للقوّة الأرضيّة وللملوك والرؤساء والزعماء الأرضيّين الذين كانوا يعتدّون بأنّهم أشباه آلهة، فوصل الأمر ببعض الشعوب إلى عبادة ملوكهم ومسؤوليهم، وتناسي الربّ المخلّص الأوحد. لذا، أرسل الله ابنه الوحيد، ليفتدي شعبَه من عبوديّة العدوّ. هنا السؤال الذي يطرح نفسه في ظلّ ما نعيشه حاليًا: أليس بعضنا يقوم بما عمله الشعب قديمًا؟ وهل ننتظر مجيئًا ثانيًا لنصدّق أنّ الله وحده هو خلاصنا؟ فليكن ميلاد ربّنا، الذي ننتظره، محرِّكًا لفكرنا وقلوبنا وضمائرنا، علَّنا نتوب ونرجع إلى الله القائل: «أطلبوني فتحيوا» (عا ٥: ٤).

تذكار البار بورفيريوس الرائي

بمناسبة تذكار أبينا البار بورفيريوس الرائي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ١ كانون الأول وخدمة السَحَر عند التاسعة والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٢ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس.

عيد القديس نيقولاوس

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ٥ كانون الأول وخدمة السَحَر عند التاسعة والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الجمعة ٦ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

الخلاص إلاّ بغفران الخطايا. أمّا أولئك الذين جعلتهم الحكمة الجسديّة جديرين بالاحتقار، فلا نعلم إلى أيّ حدٍّ يمكن لنعمة الروح القدس أن تجعلهم أصحاب شأن. إذًا، فليكن شعب الله مقدّسًا، فليكن صالحا: مقدّسًا لتجنّب المحرَّم، صالحًا لتطبيق ما أوصي به. إنّه لأمرٌ عظيمٌ ولا ريب، أن يملك المرء إيمانًا صحيحًا ومعتقدًا سليمًا. إلاّ أنّ الفضائل كلّها تكون شبه عاريةٍ إن خَلَت من المحبّة. وفي سيرةٍ، مهما كانت فاضلة، لا يمكن القول عمّا لم تلده المحبّة إنّه مثمر. فليتفحّص المؤمنون نفوسَهم إذًا، وليُخضِعوا الامتحانِ صادقِ أحاسيسَ قلوبهم الداخليّة. وإن وجدوا في المكان السليم من ضميرهم شيئًا ما متعلّقًا بثمار المحبّة، فلا يشكّوا أنّ الله فيهم، بل وليَظهروا أكثر سخاءً أيضًا في أعمال رحمةٍ مثابرة، حتى يزدادوا أهليّةً لاستقبال ضيفٍ كهذا. في الواقع، إن كان «الله محبّة» (١ يو ٤: ٨، ١٦)، فلا يمكن للمحبّة أن تُحَدّ، طالما أنّه لا يمكن لأيّ أحدٍ أن يُحيط بالألوهية.

القديس لاون الكبير